اللغة الشعرية في شعر أبي العتاهية

عامر مهدي صالح الهيتي
amer.mehdi.saleh@gmail.com
أ.د نيفين كارابلا
جامعة سليمان دميرال كلية الإلهيات

الملخص

إنَّ في شعرِ أبي العتاهية ثروة لغوية كبيرة، تجاوزت حدود الفصيح إلى اللغة الشعبية، والتي ليس لها ذكرًا في كتب الغريب والنوادر، وهذا الأمر يعود إلى موسوعته اللغوية، مما فسح المجال له ليحدث لغة تعبيرية جديدة، من خلال تركيزه على استعمال الألفاظ المألوفة والسهلة والواضحة؛ وهذه الطريقة في التعامل مع اللغة، أنتج لغة شعرية جديدة خاصة به، مكنته من البزوغ بمنزلة رفيعة بين الشعراء، وفي الشعر العربي، فأصبح يمثل مصدرَ إلهامٍ للشعراء والأدباء قديمًا وحديثًا، مما جعل الباحثين يدرسونه في مجال اختصاصاتهم اللغوية والأدبية، لما اكتسبه شعره من رصانة وجريان، ومشاعر صادقة منبثقة من تجربته الشعرية الفريدة، والتي تمثلت في اللغة بمستوياتها المختلفة.

فاللغة العربية سلسة مرنة، لها من الإمكانات الواسعة في التغيير، ومن القدرة التوضيحية المختلفة، ما يجعلها قادرة على احتواء كل مستحدث، وصياغة كل القضايا اللغوية الجديدة، بوسائط وسبل مختلفة، لعل في مقدمتها اللغة التعبيرية التي اتسمت بالسهولة والوضوح، والرمزية، والتعبير الفلسفي، والأسلوب الزهدي، وهذا ما أوجد الشاعر في لغته الشعرية .

وتهدف هذه المقالة إلى تحليل الأساليب اللغوية التي استعملها أبو العتاهية في شعره، ومدى تأثيرها من خلال تجربته الشعرية، للتعبير عن الموضوعات والأغراض الشعرية، واعتمدت المقالة على طريقة المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: اللغة الشعرية، أبو العتاهية، السهولة، الرمزية، التعبير الفلسفي.

Poetic Language in the Poetry of Abu al-Attahiyah

Prof. Dr. Nevin KARABELA
AMER MAHDI SALEH AL-HEETI
Suleyman Demiral University Faculty of Theology

Abstract

Abu al-Attahiyya's poetry has a great linguistic wealth, which exceeded the limits of the Fasih to the popular language, which we do

not find mention of in the books of al-Gharib and anecdotes, and this is due to his encyclopedic language, which allowed him to create a new expressive language through his focus on using familiar, easy and clear words; this way of dealing with language produced a new poetic language of his own, which enabled him to emerge with a high position among the poets, and he was able to rise to a high position among the poets. In Arabic poetry, he became a source of inspiration for ancient and modern poets and writers, which made researchers study him in the field of their linguistic and literary specialties, because his poetry acquired sobriety, flow, and sincere feelings emanating from his unique poetic experience, which was represented in the language at its various levels.

The Arabic language is smooth and flexible, with a wide potential for change and different explanatory power, which makes it able to contain every new development and formulate all new linguistic issues by different means and means, perhaps foremost among which is the expressive language, which is characterized by ease and clarity, symbolism, philosophical expression, and ascetic style, and this is what the poet found in his poetic language

Keywords: poetic language, Abu Al-Atahiya, ease, symbolism, philosophical expression

المقدمة

تُعَدُّ اللغة الشعرية أحدى الأسس التي ينتصب عليها البناء الشعري، إذْ تستعمل لضبط الصورة التعبيرية من الأحاسيس والأفكار والمشاعر بأساليب جديدة ذات جمالية وتأثير، وأبو العتاهية يُعَدُّ واحدًا من أبرز الشعراء في العصر العباسي الأول، وقد انمازت لغته الشعرية بالرصانة والتغيير، وتتجلى لغته الشعرية في كيفية استعمال الأساليب اللغوية التي تنقل أفكاره على شكل أشعار محددة، ودوره في تطوير الأساليب الشعرية.

فأبو العتاهية في نهاية حياته جابهَ أفكار المجون واللهو والزندقة التي شاعت في عصره، وخاصة عند أغلب الشعراء، فدعا لعمل الخير والعفو والتسامح والصدق ومكافحة الرذائل التي أصابت المجتمع بالذل والخنوع لشهوات النفس، فكانت ظاهرة مبدئيَّة خالصة طرحت لإعادة

الجانب الروحي والأخلاقي من الإسلام، فعبَّرَ عنها بلغة شعرية جديدة لامست قلوب الناس وأعادت إليهم مبادئهم التي حملوها من قبل.

ترجمة لحياة الشاعر أبي العتاهية

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، مولى لبني العَنَزِيُّ. يُكنّى بأبي إسحاق، لكن غلب عليه لقب أبو العتاهية. لقب بأبي العتاهية، لاضطراب كان فيه، وقيل: بل كان يحب المجون والخلاعة، فكني لعتوه. ولد في قرية تسمى عين التمر، الأنبار– العراق، ومنشؤه الكوفة، ثم سكن بغداد.[١] وتعود نسبة ابو العتاهية إلى بلدة عين التمر وإليها نسب بالعيني[٢]. كَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَة يعْمل الفخار ويبيعه، فلما تنسَّك، قال: تعلمت الحجامة لأذلَّ نفسي وأتواضع، فَأُخبِر يحيى بن خالد، فقال: ما دعاه الى هذا؟ قيل: أراد أنْ يذلَّ نفسه، قال: أما كانت له صناعة قبل هذا؟ قيل: بلى، كان يبيع الجرار، فقال: لقد كان له في بيع الجرار من الذلِّ ما يغنيه عن الحجامة[٣]، وقد روي أن أخيه زيد هو من كان يصنع الجرار كما قال ابو العتاهية: (أنا جرَّار القوافي وأخي جرَّار التجارة، قال محمد بن موسى وحدثني عبد الله بن محمد قال حدثني عبد الحميد بن سريع مولى بني عجل قال: رأيت أبى العتاهية، وهو جرار يأتيه الأحداث والمتأدبون، فينشدهم أشعاره، فيتناولون الخزف المتكسر ليكتبونها عليه)[٤].

الحالة السياسية والاجتماعية والأدبية في عصر أبي العتاهية

أولًا: الحالة السياسية

عاش أبو العتاهية في عهد الخليفة المهدي (ت١٦٩هـ)، والخليفة الهادي (ت١٧٠هـ)، والخليفة الرشيد (ت١٩٣هـ)، والخليفة الأمين (ت١٩٨هـ)، والخليفة المأمون (ت٢١٨هـ)، فكان عندهم من المُقَرَّبين، وأجزلوا عليه الهدايا والعطاء، فجال في قصورهم وعشق بعض جواريهم، وخالط في قصورهم الكثير من الأعلام الذين أبدعوا في فروع المعرفة، فكان عنده منهم أصدقاء ناصحون، وأعداء متنكرون، فيهم من تعصب له أو عليه، وفيهم السَلبي الذي أراد به السوءَ، كما التقى بالزهاد والنساك والعباد وإلى جانب ذلك وجد أهل اللعب اللهو والعبث، ووجد السياسة في تقلباتها والفتن في حبكها وأدارة مؤامراتها، وجد فيها الحياة متقلبة بالشئ وضده، كل ذلك أثَّرَ

[١] ينظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ) **تاريخ بغداد**، تح: د. بشار عواد معروف (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)، ٧/ ٢٢٦.

[٢] ينظر: السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي، **الأنساب**، تح: عبد الله عمر البارودي (دار الجنان، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ٩/ ٤٣٠.

[٣] ينظر: المعافى، أبو الفرج الجريري، **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**، ص١٦٨؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تح: أبي الفضل إبراهيم (المكتبة العصرية، صبرا، ١٩٩٨م) ٤/ ١٧٥٧.

[٤] أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، **الأغاني**، تح: سمير جابر، علي مهنا (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) ٤/ ١١.

على شخصيته، وله مواقف مع الخلفاء منها ما خالفهم فيها عند وفاة موسى، حيث طلب منه الرشيد أنْ يقول شعرًا في الغزل، فأجابه بألا يقول في الغزل بعد موسى الهادي، فحبسه، وأشار كذلك إلى إبراهيم الموصلي ليغني، فامتنع، وقال: لا أغني بعد موسى أبدًا، فحبسه ايضًا، وعندما وصل الرقة في الشام وضعهما في حفرة، وعزل بينهما بجدار ثم قال: لن تخرجا من هذا المكان حتى تشعر أنت ويغني هذا[١].

ثانيًا: الحالة الاجتماعية

بسبب تداخل أفكار الحضارات، ظهر في العصر العباسي طبقتين تختلف إحداهما عن الأخرى، فكانت الأولى مترفة، والأخرى تعاني صعاب الفقر وضنك المعيشة، وللعمران ظهورًا بارزًا في ذلك الحين، وكَثَرَ اللهو وشاع اللعب وظهرت الشعوبية التي كانت تُمايز بين العرب والعجم، وانتشر الانحلال بسبب الاختلاط الحاصل بين العرب والفرس، ومنها المجون والزندقة وغيرها، على إنَّ المجتمع العباسي لم يخلو من المُتَمسِّكِين بمبادئ الشرع، بل كانوا هم الأغلبية في حينها[٢].

ولعلّي أطرق حالة اجتماعية شخصية عاشها أبو العتاهية عندما أراد أنْ يخطب الجارية (عتبة) من الخليفة المهدي، فقال: ائتوني بعتبة، فأخبرها بأنَّ أبا العتاهية كلمني فيكِ، ولكِ ولهُ ما تحبان، فأجابته بسؤال مولاتها، فأخبرت مولاها أنَّ مولاتها أبَتْهُ وكرهته، فقال: ما كنت لأفعل شيئًا تكرههُ، فعلم أبو العتاهية بذلك، فقال [من الطويل][٣]:

ألا إنّ ظبيا للخليفة صادنى ومالى على ظبى الخليفة من عدوى

ولما سمع الخليفة المهدي قولهُ، ضربه عليه مائة سوط، ونفاه إلى الكوفة وقال:"أبى يتمرّس"[٤]، ولحرمي يتعرّض، وبنسائي يعبث[٥]؟

وفاته: توفي ببغداد، واختلف في سنة وفاته ما بين ٢١٠-٢١٣هـ، وقبره على نهر عيسى في الجانب الغربي من مدينة السلام مقابل قنطرة الزياتين[٦].

[١] ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة كمال الدين (ت٦٦٠هـ)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تح: د. زكار، سهيل (دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م) ٤/ ١٧٧٢.

[٢] ينظر: خليف، يوسف، **تاريخ الشعر في العصر العباسي** (دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨١م) ص٢٧-٢٨.

[٣] البيت منسوب لأبي العتاهية وليس في ديوانه، ذكره القيرواني، أبو إسحاق الحُصري إبراهيم الأنصاري، **زهر الآداب وثمر الألباب**، تح: زكي مبارك (دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م) ٢/ ٣٨٠-٣٨١.

[٤] (تَمَرَّسَ فُلَانٌ بِالشَّيْءِ: احْتَكَّ بِهِ) ابن فارس، أبو الحسين أحمد القزويني الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، تح: زهير عبد المحسن (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ٥/ ٣١١.

[٥] ينظر: القيرواني، **زهر الآداب وثمر الألباب**، ٣٨١/٢.

[٦] ينظر: القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف جمال الدين، **أنباه الرواة على أنباء النحاة**، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ)١/ ٢٦٤؛ ابن العديم، **بُغْيَة الطَّلَب في تاريخ حلب**، ١٨٠٢/٤؛ الذهبي، محمد بن أحمد شمس الدين، **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرناؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) ١٠/ ١٩٧.

ثالثا: البيئة الأدبية

يعدُّ العصر العباسي الأول (١٣٢هـ-٢٣٢هـ)، أوج الثقافة الإسلامية، ونهضة العلم والأدب وهو من العصور التي زخرت بالأدباء والشعراء، فضلًا عمّا حَصَلَ من الإبداع في تجديد القصيدة العربية، فظهر كبار الشعراء كأبي نؤاس وبشار بن برد وسلم الخاسر وأبي العتاهية الذي عاش في بغداد، فكان شعره في الزهد والحكمة والموعظة والذي امتاز بالسهولة والوضوح، والتي جاءت من تأثير العوامل النفسية والبيئية والإجتماعية على قصائده، و كثر فيه الاقتباس والتضمين من الكتاب والسنة.

اللغة الشعرية عند أبي العتاهية

انماز الشاعر بلغة بسيطة ومباشرة قريبة من الناس، خالية من التعقيد والمبالغة، وكان يفضل استعمال الكلمات السهلة والأمثال الشعبية التي يسهل على الجميع فهمها.

أولًا: السهولة والوضوح في لغة الشعر عند أبي العتاهية

تُعدُّ لغة البساطة والسهولة من السمات الفنية المهمة في شعر الزهد والحكمة والموعظة، لأنَّها تخاطب عموم الناس من طبقات المجتمع الشعبية وأهل القصور في آنٍ واحد، فاقتضت سهولة اللفظ والعبارة عند استعمالها في الشعر، فوجبت أنْ تكونَ ذات صياغة وبناء بسيط، لتؤدي الأفكار والمعاني التي أراد الشاعر توصيلها للمتلقي، خالية من غريب الألفاظ والمعاني الفلسفية المعقدة والتراكيب الصعبة، هذه هي اللغة الفنية التي يتوجب إيجادها في الشعر الزهدي والحكمي والوعظي والتي يجب طرقها وإنشائها في هذا الباب.

إنَّ أبا العتاهية يكثر من الوعظ عند ذكر الحياة والموت، وما سيؤول إليه مصير الإنسان، ويستند في وعظه إلى ما ورد في القرآن والسنة النبوية، وما تطرق إليه الوعَّاظ ممن سبقوه في هذا الباب من الشعراء، كابن المبارك من الشعراء، والحسن البصري من الوعاظ الحكماء وغيرهما، وتطالعنا قصيدته بعنوان (المورد الأكبر) والتي لا يخلو بيتًا منها إلا وفيه من الوعظ والتحذير من الموت واليوم الآخر فقال فيها [من السريع][١]:

يا عَجَباً لَلناسِ لَو فَكَروا أَو حاسَبوا أَنفُسَهُم أَبصَروا

وَعَبَروا الدُنيا إِلى غَيرِها فَإِنَّما الدُنيا لَهُم مَعبَرُ

وَالخَيرُ ما لَيسَ بِخافٍ هُوَ ال مَعروفُ وَالشَرُّ هُوَ المُنكَرُ

في البيت الأول يتعجب أبو العتاهية من حال الناس الذين انشغلو بالدنيا وتركوا التفكر بالآخرة، وتركهم لمحاسبة أنفسهم، كأنَّه يتمثل قول لقمان لابنه وهو يعظه: "لا يَنْبَغِي للعاقل أَن يخلى نَفسه من أَرْبَعَة أَوْقَات: فوقت مِنْهَا يُنَاجِي فِيهِ ربه، وَوقت يُحَاسب فِيهِ نَفسه، وَوقت يكْسب

[١] أبو العتاهية، أبو اسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء (ت٢١٠هـ)، الديوان، تح: مجيد طراد (دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م)، ص ١٥٤ .

فِيهِ لمعاشه، وَوقت يخلي فِيهِ بَين نَفسه وَبَين لذتها فِي غير محرم يَسْتَعِين بذلك على سَائِر الْأَوْقَات"[١]، وفي البيت الثاني يعظ عن حال الدنيا وهي للبيب دار انتقال إلى الآخرة، وكأنه يتمثل قول الحسن البصري: "الْفِكْرَةُ مِرْآةٌ تُرِيكَ حَسَنَاتِكَ وَسَيِّئَاتِكَ"[٢]؛ وإذا طالعنا أشعاره يظهر فيها البساطة والسهولة هي الطابع الذي ألبسه أبو العتاهيه لأشعاره، وكذلك سرعة ارتجاله وألفاظه الرشيقة–كونه من الشعراء المطبوعين–والسَّيَّالة التي استعملها، وصياغاته وأفكاره ومعانيه كلها تصب في إناء البساطة والسهولة وتبتعد عن تعقيد التراكيب والتواء الجمل[٣].

ثانيًا: الرمزية في لغة الشعر عند أبي العتاهية

استعمل أبي العتاهية الرمزية في شعره، ولكن ليس بشكل دائم ومعقد أو غامض، بل جاءت غالبًا بشكل غير مباشر ومبسط.

وفي هذا البيت لأبي العتاهية استعمل فيه الرمزية للموت فقال [من مجزوء الكامل][٤]:

الناسُ في غَفَلاتِهِم وَرَحى المَنِيَّةِ تَطحَنُ

تناول أبو العتاهية الموت في شعره، وهو الفناء التام والزوال عن الحياة، فهنا تأكيد منه على قصر الحياة الدنيا وزوالها وزوال كل من فيها، فعلى الإنسان أنْ يتعامل مع هذا الواقع الذي يجرُّهُ إلى التفكير في معنى الحياة، وهو في هذا البيت قد رمز للموت والفناء بالرحى التي تطحن كلَّ شيء.

ثالثًا: التعبير الفلسفي في لغة الشعر عند أبي العتاهية

انماز شعر أبا العتاهية بوجود تأملات فلسفية في مقطوعاته، إذ تناول موضوعات مثل عبثية الحياة، وفي هذا الباب أنَّ أبا العتاهية قد توسَّع في فلسفة الدنيا وبيان حالها، وكثرة تقلباتها، وتشبيهها بالظلَّ الذي يتغير من حين إلى حين.

فقال: [من الكامل][٥]:

سَلِّم عَلى الدُنيا سَلامَ مُوَدِّعٍ وَارحَل فَقَد نوديتَ بِالتَرحالِ

ما أَنتِ يا دُنيا بِدارِ إِقامَةٍ ما زِلتِ يا دُنيا كَفيءِ ظِلالِ

وَحُفِفتِ يا دُنيا بِكُلِّ بَلِيَّةٍ وَمُزِجتِ يا دُنيا بِكُلِّ وَبالِ

[١] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، **الكامل في اللغة والأدب**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م) ٢/ ١٠.

[٢] أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** (مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م) ص ٨/ ١٩٠.

[٣] ينظر: أحمد محمد عليان، أبو العتاهية حياته وأغراضه الشعرية (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩١م)، ص ١٨٥.

[٤] أبو العتاهية، **الديوان**، ٣٨٢.

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٨٨ .

وقال أيضًا في بيان الدنيا وتقلباتها فقال: [من السريع][١]:

ما أَحسَنَ الدُنيا وَإِقبالَها إِذا أَطاعَ اللَهَ مَن نالَها

مَن لَم يُؤاسِ الناسَ مِن فَضلِهِ عَرَّضَ لِلإِدبارِ إِقبالَها

كَأَنَّنا لَم نَرَ أَيّامَها تَلعَبُ بِالناسِ وَأَحوالَها

إِنّا لَنَزدادُ اغتِراراً بِها وَاللَهُ قَد عَرَّفَنا حالَها

نَغضَبُ لِلدُنيا وَنَرضى لَها كَأَنَّنا لَم نَرَ أَفعالَها

في هذه الأبيات تشابهًا واضحًا للتأمل في عبثية الحياة وفناء الأشياء وتقلباتها بتشبيهها بالظل المتغير الأحوال، وهو موضوع شائع عند أبي العتاهية.

رابعًا: اللغة والتعبير في لغة الشعر عند أبي العتاهية

استعمل أبو العتاهية الاسلوب الشعري السهل في التعبير والفهم، مما فسح لأفكاره مجال الوصول إلى السامع المتلقي وبشكل واسع. فكان من سمات لغة شعره التوفير في المفردات، وكان يعبر عن أفكاره ومشاعره بكلمات قليلة لكنها مؤثرة، مما يتجلى لدى السامع المتلقي التلاحم مع شعره بشكل سريع.

وفي النظر إلى زهديات أبي العتاهية نُطالِعُ بيتان يقول فيها [من المنسرح][٢]:

أَثرَوا فَلَم يُدخِلوا قُبورَهُمُ شَيئاً مِنَ الثَروَةِ الَّتي جَمَعوا

وَكانَ ما قَدَّموا لِأَنفُسِهِم أَعظَمَ نَفعاً مِنَ الَّذي وَدَعوا

في هذين البيتين تطرق إلى أمرين هامين في الزهد وهما: التخويف من التعلق بالدنيا بجمع الأموال التي سيفارقها الإنسان بعد مماته، وعدم دخولها القبر معه؛ وترغيبه في العمل للآخرة، لأنَّها دار البقاء، فنراه يوجه إلى الزهد والقناعة والرضا بالقليل، بألفاظ ومعاني واضحة خالية من الغريب، سهلة الوصول والتأثير في السامع.

خامسًا: التكرار والتأكيد في لغة الشعر عند أبي العتاهية

استعمل التكرار لتقوية مفاهيمه وتوضيحها، مما يساعد على تثبيت المعاني والأفكار في ذهن المتلقي السامع، ويُعَدُّ التكرار من الأساليب الفنية التي تثري دلالة النص وتثير إشاراته الشعورية، فتعطي النص رونقًا وانسجامًا نظميًا، فيأتي التكرار زيادةً في التأكيد، ويعدُّ أيضًا من الإطناب غير المخل، للكشف عن ثورة الشاعر الوجدانية؛ ليعبرَ عما يدور في خلده، والغاية من التكرار هو نقل صورة واضحة في النص لما يجول في وجدان الشاعر، فهو يرنو إلى إيصال المعاني إلى سامعه، ولمن يصل إليه الخطاب في كل زمان ومكان بشكل مؤثر[٣].

[١]) المصدر نفسه، ص ٣٣٠ .

[٢]) هذه أبيات من قصيدة لأبي العتاهية في ديوانه، ص٢٣٤،٢٣٣ مطلعها:

حتى متى يستفزني الطمع اليس لي في الكفاف متسع

[٣]) ينظر: د. عز الدين علي السيد، **التكرير بين المثير والتأثير**، (عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م) ١٣٦.

وإنَّ أسهل أنواع التكرار هو تكرار اللفظ في الشطر الواحد أو كلا الشطرين، أو بسريان ذلك في العديد من أبيات القصيدة، وهذا كله يجب أنْ يمتثل لما يخضع له الشعر إجمالًا في أساسيات نظم الشعر، من ذوقية وجمالية وبيانية، وهذا التكرار لا يكون إلّا من شاعر أصيل مُعْتَمَدًا عليه في الرصانة والجمال، فتكون للكلمة المكررة معناها الجديد الخاص الذي أُلبست إيَّاه وهو المراد، لا التكرار نفسه[١]؛ قال [من الكامل][٢]:

فَلَئِن عَقَلتَ لَتَشكُرَنَّ وَإِن تَشكُر فَقَد أَغنى وَقَد أَقنى
وَلَئِن بَكَيتَ لِرِحلَةٍ عَجِلاً نَحوَ القُبورِ فَمِثلُها أَبكى
وَلَئِن قَنِعتَ لَتَظفَرَنَّ بِما فيهِ الغِنى وَالراحَةُ الكُبرى
وَلَئِن رَضيتَ عَلى الزَمانِ فَقَد أَرضى وَأَغضَبَ قَبلَكَ النَوكى

عبَّرَ الشاعر في هذه الأبيات بما خَطَرَ بداخله، فجاء بطرق متنوعة من همسات صوتية، قامت بإبراز فكرته الإيمانية، وبما يريد إملائه على السامع من بواطن أفكاره، ومشاعره الخفية بإيقاع ونغم موسيقي في الألفاظ، فمقصده تصحيح أفكار المجتمع، وهذا النغم اللفظي لا يتمكن منه إلَّا فحول الشعراء، الذين يجيدون طَرْقَ أسماعِ الناسِ بشتَّى الأساليب المؤثرة؛ وفي هذه الأبيات استعمل التكرار اللفظي بقوله (لَئِنْ) في كل بيت، وفي كل شطر جاء بكلمتين مكررتين في قوله (لَتَشكُرَنَّ، تَشكُر) و (فَقَدْ، وَقَدْ) و (بَكَيتَ وأَبكى) و (رَضيتَ، أَرضى) ليثبت في هذه الألفاظ معنى القناعة، ووجوب الحمد لله على نعمه خيرًا وشرًا.

سادسًا: الاستعارة في لغة الشعر عند أبي العتاهية

الاستعارة هي الأداة البلاغية القوية التي تساعد في تجميل النصوص الشعرية وتعميقها، فتبرز المعاني الخفية التي لا يمكن التعبير عنها بشكل مباشر، ليقدم الشاعر صور بديعة ومعاني مركبة بإسلوب مبسط ومؤثر، فتبسط الأفكار المعقدة وتربطها بشيء ملموس، لتحفيز خيال السامع المتلقي، فتجعله أكثر ارتباطًا بالنص وتأثرًا به، وبشكل أكثر حيوية.

فقال أبو العتاهية [من البيت الطويل][٣]:

وَلَسْنَا عَلَى حُلْوِ القَضَاءِ وَمُرِّهِ نَرَى حكَمًا فِيْنَا مِنَ اللهِ أَعْدَلا

وصف أبو العتاهية في هذا البيت حاله، بأنّه وجد الله تعالى عادل في كل شيء، فما اختاره الله من حلو قضاءه ومره هو خير في كلا الحالتين، فلا أحد أعدل في قضائه وحكمه ولا أنصف منه، ففي قصاصه إنصاف، وفي جزائه إحسان، في البيت استعارة مكنية في (حلو ومر)

[١] الملائكة، نازك صادق، **قضايا الشعر المعاصر**، (مكتبة النهظة، بغداد، ١٩٦٥م) ص ٢٣١ .
[٢] أبو العتاهية، **الديوان**، ص ٣٠ .
[٣] أبو العتاهية، **الديوان**، ص ٣٠٢.

فحذف المشبه به وتقديره (الجزاء) وجاء بشيء من لوازمه وهو (أَعْدَلا)؛ وقال من نفس القصيدة في البيت العاشر:

كَأَنّا وَقَد صِرنا حَديثاً لِغَيرِنا يُخاضُ كَما خُضنا الحَديثَ بِمَن خَلا

وضع أبو العتاهية قاعدة مفادها أنَّ من يتكلمُ ويخوضُ في أحوال الناس، فلا بد في يوم سيُخاض في أحواله، فيشبه أبو العتاهية كلام الناس عنه بأنَّه خوض، كما خاض فيهم من قبل، وفي البيت استعارة مكنية في قوله: (خُضنا الحَديثَ) فشبه الحديث بالماء المُخاض، وحذف المشبه به بتقدير (الذكر المكروه للغير) وأتى بشيء من لوازمه الخوض.

سابعًا: الجناس في اللغة الشعرية لأبي العتاهية

يظيف الجناس لمسة موسيقيَّة للبيت الشعري، الذي يكون تشابه اللفظين فيه أساسًا، فيُكَوِّنُ الإيقاع مع اختلافهما في المدلول، فيأتِ منه الجناس التام بتطابق اللفظين فى أنواع الحروف وعددها وهيأتها وترتيبها. أمّا الجناس الناقص فيجب أن يكون فيه الباقى بعد إسقاط المزيد ومساويا للفظ الآخر فى جميع ما تقدم[١].

من هنا يتبين أنَّ الجناس يعد من أفضل الوسائل الصوتية التي تجذب السامع، وتثير مشاعره لما فيها من موسيقى داخلية، كما يُلبس النص حُلَّتهُ الجمالية اللفظية، والأشكال البديعية التي تؤثر على المتلقي ببلاغتها ونغمتها العذبة[٢].

أوصى أبو العتاهية أن يُطَرَّزَ قبْرَهُ بأبياته[٣] التي قال فيها [من مجزوء الخفيف][٤]:

أُذْنَ حييٍّ تَسَمَّعِي إِسْمَعِي ثُمَّ عِي وَعِي

وكأنَّ الشاعر وقد حضرته المنية، إذ يعظُ نفسه وغيره من الناس فيقول: علي أن أسمع نذير الموت قد آذن، فعليكِ يا نفسُ التنبه لذلك واحفظي، فليس للإنسان سوى التقى فالزميه وتزودي.

ذكر الشاعر لفظي (عِي وَعِي) وفيهما جناس تام متطابق، فـ (عي) الأولى جاءت بمعنى احفظي والثانية جاءت بمعنى افهمي الحال بحقيقة أمره

ثامنًا: الأوزان المستحدثة في اللغة الشعرية لأبي العتاهية

يُعرف أبو العتاهية بثورته على الأوزان العروضية المتداولة والثابتة التي وضعها مؤسس علم العروض الخليل بن أحمد الفراهيدي، إنَّ هذا التجديد عند الشاعر يمكن النظر إليه من عدة زوايا تتعلق بالأسلوب والابتكار في أوزان الشعر.

١) ينظر: الدسوقي، محمد بن عرفة، **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني للتفتازاني**، تح: عبد الحميد هنداوي، (المكتبة العصرية، بيروت، (د ت)) ١٦٢/٤.

٢) لاشين، د. عبد الفتاح، **البديع في ضوء أساليب القرآن** (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م) ص ١٥٨.

٣) ينظر: ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن حبيب بن سالم الأندلسي شهاب الدين (ت٣٢٨هـ) **العقد الفريد** (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ)٢٠٥/٣.

٤) أبو العتاهية، **الديوان**، ص ٢٣٥ .

فقال أبو العتاهية [من مجزوء الرمل][١]:

لِلمَنونِ دائِرا تٌ يُدِرنَ صَرفَها

ولمّا قيل له: لقد خرجت عن العروض، قال: أنا أكبر نمن العروض[٢].

ووزن البيت:

مفعولات مستفعل مفعولات مستعل

ففي هذا الوزن اقترب الشاعر من وزن المقتضب:

مفعولاتن مستفعل مفعولاتن مستفعل

فاستعمل مطوي العروض ومطوي الضرب:

مفعولات مستعل مفعولات مستعل

فقد أضاف مع الطي علة القطع، مع طي الحشو، فأخرج البيت عن الأصل لوزن المقتضب، غير أنَّه لم يبعد كثيرًا عن هذا الوزن، فهذا تجديد لأبي العتاهية في وزن بحر المقتضب[٣].

وهذا المثال قال فيه ابن قتيبة: قد خرج عن أعاريض الشعر وأوزان العرب، ولكنّه لم يخرج عن الدوائر الخمس التي جاء بها الخليل[٤].

ويَصِرُّ ابن قتيبة بأنَّ الشاعر جدد هذا الوزن واستنبطه لمّا سمع صوتَ مطرقةِ القصّارِ، معتمدًا على ما روي أنّ أبا العتاهية قعد يومًا عند قصّارٍ، فسمع صوت المدق فحكى ذلك في الفاظ شعره، وأكَّدَ د. صفاء خلوصي أنَّ هذه الأبيات على وزن مدق القصّار:

لِلمَنونِ دائِرا تٌ يُدِرنَ صَرفَها

فاعلاتن	فاعلا	فاعلات	فاعلا
٠//٠///	٠//٠/	/٠//٠/	٠//٠/

[١] الدينوري، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ) **الشعر والشعراء** (دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ) ٧٨٠/٢.

[٢] ينظر: الأصفهاني، **الأغاني**، ٤/ ١٦.

[٣] د. عبد الحكيم العبد، **علم العروض الشعري في ضوء العروض الموسيقي**، دار غريب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م، ص١٠١.

[٤] ينظر: الدينوري، **الشعر والشعراء**، ٧٨٠/٢؛ د. فوزي سعد عيسى، **العروض العربي ومحاولات التطوير والتجديد فيه**، ص٢١١.

الخاتمة

من خلال هذه الجولة السريعة في أشعار أبي العتاهية، برز فيها لغة الشاعر الجديدة، وما أحدثه من تحول ملموس في الشعر العربي بإسلوبه الفريد المبتكر، إذ جسَّدَ فيه أعماله بسمات رئيسية منها تبسيط الأسلوب الخطابي وسهولته ووضوح تعبيره، واستعماله للأسلوب الرمزي والبلاغي والتعبير الفلسفي غير المعقد، والتكرار الذي رام به توكيد المفاهيم، وطرح الأفكار بشكل مؤثر عند السامع والمتلقي، فجاءت لغته الشعرية سهلة الألفاظ والمعاني، كما قام بتوظيف الأوزان والقوافي بشكل جديد ومبتكر، تجاوز فيها الأوزان التقليدية، متماشيًا مع أسلوبه وغايته الشعرية، الذي بدوره ساعده على إنشاء توازن بين إيقاعه الموسيقي ومحتوى القصيدة، لبّى فيه غايته من تأثيره على السامع والمتلقّي.

قدّم من خلال تجديده في اللغة الشعرية مثالًا جديدًا للشعر العربي، اتَّسَمَ بالبساطة والرصانة في آنٍ واحدٍ؛ ولغته الشعرية جامعة بين الوضوح والإبداع، أثَّرتْ في تكوين أفق جديد في الأدب العربي للأجيال التي بعده؛ كما استعمل الاستعارة بشكل مبتكر، خلق فيها صور جديدة ومعبرة، عكست نظرته الفلسفية والاجتماعية، مما أوجد في شعره طابعًا إبداعيًّا متميزًا؛ وقام أبو العتاهية بثورة عروضيّة على النظام الذي وضعته العرب للقصيدة، فأبدع في إنشاء وزنًا من البحر المقتضب على دقِّ القصَّار؛ واختلف العروضيون من بعده في توجيه وزن أبياته عروضيًا، مما يثبت امكانية أُذُنِ الشاعر الموسيقية، ويؤكد تجديده.

المصادر والمراجع

١. ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة كمال الدين (ت٦٦٠هـ)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تح: د. زكار، سهيل (دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م).

٢. ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن حبيب بن سالم الأندلسي شهاب الدين (ت٣٢٨هـ) **العقد الفريد** (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ).

٣. ابن فارس، أبو الحسين أحمد القزويني الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، تح: زهير عبد المحسن (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

٤. أبو العتاهية، أبو اسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء (ت٢١٠هـ)، **الديوان**، تح: مجيد طراد (دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م).

٥. أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)، **الأغاني**، تح: سمير جابر، علي مهنا (دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م).

٦. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** (مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م).

٧. أحمد محمد عليان، أبو العتاهية حياته وأغراضه الشعرية(دار الكتب العلمية بيروت،ط ١،١٤١١هـ- ١٩٩١م).

٨. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ) **تاريخ بغداد**، تح: د. بشار عواد معروف (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م).

٩. خليف، يوسف، **تاريخ الشعر في العصر العباسي** (دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨١م).

١٠. د. عز الدين علي السيد، **التكرير بين المثير والتأثير**، (عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م) .

١١. د. فوزي سعد عيسى، **العروض العربي ومحاولات التطوير والتجديد فيه**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (د ط) ١٩٨٨م.

١٢. د.عبد الحكيم العبد، **علم العروض الشعري في ضوء العروض الموسيقي**، دار غريب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م.

١٣. الدسوقي، محمد بن عرفة، **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني للتفتازاني**، تح: عبد الحميد هنداوي، (المكتبة العصرية، بيروت، (د ت)).

١٤. الدينوري، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ) **الشعر والشعراء** (دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ).

١٥. الذهبي، محمد بن أحمد شمس الدين، **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرناؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

١٦. السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي، **الأنساب**، تح: عبد الله عمر البارودي (دار الجنان، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ٩/ ٤٣٠.

١٧. القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف جمال الدين، **أنباه الرواة على أنباء النحاة**، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ).

١٨. القيرواني، أبو إسحاق الحُصري إبراهيم الأنصاري، **زهر الآداب وثمر الألباب**، تح: زكي مبارك (دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م).

١٩. لاشين، د. عبد الفتاح، **البديع في ضوء أساليب القرآن** (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م).

٢٠. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، **الكامل في اللغة والأدب**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

٢١. المعافى، أبو الفرج الجريري، **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**، ص١٦٨؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تح: أبي الفضل إبراهيم (المكتبة العصرية، صبرا، ١٩٩٨م).

٢٢. الملائكة، نازك صادق، **قضايا الشعر المعاصر**، (مكتبة النهظة، بغداد، ١٩٦٥م) .